آفاق

«ملحق العدد 30»

ملحق العدد 30 يوم الاثنين 01 محرم 1443 هـ الموافق 9 أغسطس/ آب 2021م

1

جريدة إلكترونية شهرية ثقافية منوعة تصدر عن مؤسسة البيان للعلوم والمعرفة

زواج سفر بقلم: حازم أبو خير

كانت تجلس إلى يمينه، ذراعه تلتفُ حول عنقها، وأصابع يديه تداعب وجنتها اليمنى، أحس برطوبة دمعها حين آلت جلستهما للانتهاء، وجاءه صوتها بما يشبه الهمس:

"لا أريدك علاقةً مؤقتةً..

ولا أجد لنفسي نهايةً تخرجني مما أنا متورطةٌ به.

لقد أغرقتْني قصةُ حبٍّ ذات لا نهاية، واستفحل العشق مشاعري جميعها. بتُّ أراكَ في صحوي وفي نومي. وأكثر من ذلك، صرت أحسب للنهاية ألف حسابٍ وحساب.

لستُ مستعدةً لخيبةٍ جديدةٍ، وهذا ما سيصيبني عاجلاً أم آجلاً.

كلانا يعلم أن المستحيل سيعجز عن جمعنا سويةً، وأن النهاية آتيةٌ لا محالة".

شدها من كتفها نحوه، وجعل -كما تحب- خدها الأيسر على كتفه، وأرخى عنقه ليتكئ رأسه على رأسها.

أغمض عينيه وأعاد ذات الكلام الذي يكرره في كل لقاء:

"دعينا ننسى الكمّ الهائل من العقبات التي تقف في طريقنا، ونتجاهل الظروف والأوضاع.

دعينا نتوقف عن سقاية مقومات الفراق التي نمت بفعل لسانينا، وأضحت هاجساً نعجز عن ردع تفاقمه ونموه.

أحببتك بسيطةً، متواضعةً، ذات أحلامٍ قابلة للتحقيق.



لا يلفتك جمال جسدك، ولا يهمك التبرج، ولا تمتهنين خداع الناظر إليك.

أحببتك لأصليّتك وانقراض أشباهك. فأنتِ لا تهتمين لماركة الملابس، ولا تلاحقين صيحات الجديد فيها وتقتنعين بما لديك من جماليات.

عززتِ حبي لكِ بالتقولب على قياس مزاجي وما أحب من أشياء، أنا مدينٌ لكِ بعمرٍ ما كان لولاكِ، ولن يكون بدونك".

تناول من جانبه الورقة التي حملتها معها، وقد جعلت عليها غلافاً شفافاً سميكاً يحميها من التلف، ووضعها أمامهما، وقال:

"أجد أنك تخشين على هذه الورقة من التلف أكثر مما سيسببه انفصالنا.

أراكِ اليوم تائهةً بين الخيارات، بين عقد زواجٍ تخشين عليه من أي شيء، وبين عقد عملٍ جعلك تقحمين نفسك وتقحميني في هذا الخيار الصعب".



كانا صديقين مقربين، كلاهما يميل نحو الآخر ويواسي عجزه أمام الظروف. كانا على موعدٍ ثابتٍ للقاء التلقائي عند نهاية كل أسبوع في نفس المقهى وعلى نفس الطاولة، وكانا على نفس

زواج سفر بقلم: حازم أبو خير

العادة في طلب القهوة ونفّاضة السجائر، وبنفس الشغف في السباق لسرد أحداث الأسبوع وتطورات العمل رغم المكالمات الهاتفية التي تتكرر عدة مرات في اليوم الواحد.

كانت تريه ما استطاعت رسمه مؤخراً، ويطلعها بدوره على أحدث التصاميم الهندسية التي ابتكرها بعد آخر لقاء.

كان يضع حاسوبه الشخصي أمامه كما هو المعتاد حين قاطعهما وميض الرسالة التي حطتْ رحالها في صندوق بريده الإلكتروني، فأسرع لفتحها وكادت الدنيا لا تسعه من هول المفاجئة،

كانت الرسالة تحمل بين طياتها موافقة الجامعة الخارجية على طلبه الدراسي، وأنه سيصبح بالقريب العاجل ضمن قائمة الطلاب المغادرين على سبيل البعثة العلمية.

تقلص فؤادها فور سماعها الخبر، وآثرت على إيلاء مشاعرها لفقده -وهو صديقها الوحيد- أهميةً أكثر من فرحها لحصوله على الموافقة.

قالت بعد أن عقدت حاجبيها:

"كيف لك أن تتركني هنا بمفردي؟

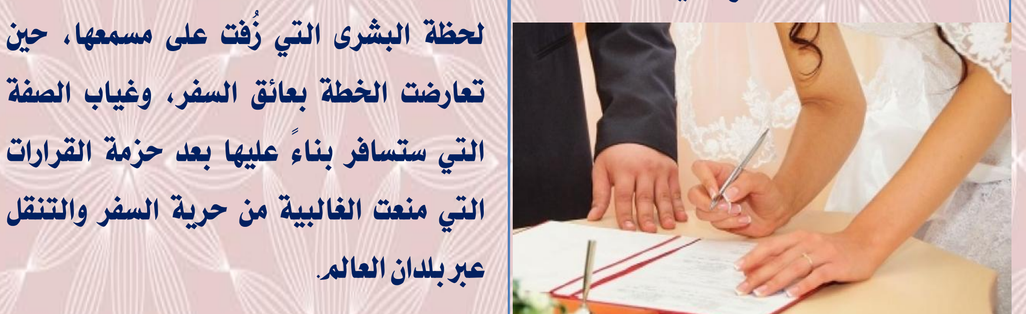
هل حسبت للفراغ الذي ستخلفه بعدك أي حساب؟

بالطبع سأفرح لفرحك وسأبارك لنجاحك، ولكنني سأموت وحدي هنا، ولن تفِ الاتصالات المصورة بحقيقة وجودك هنا.

يجب أن تبحث عن حلٍّ سريع، وتصحبني معك في سفرك".

★★★

وضع هاتفه الجوال في جيبه بعد أن أقفل الخط على آخر مكالمة له، فعّل وضع الطيران، واتجه نحو قاعة المغادرين يفكر بالوعد الذي قطعه قبل عدة دقائق على مسمع صديقته،



وأنه أقسم بأرواح جميع المتوفين ممن يخصوه وبحياة كل الأحياء، أنه لن يدخر جهداً في محاولة تأمين فرصة عمل لها، والإرسال في إثرها لتكون كما كانت دوماً صديقته الوحيدة.

وبالفعل، وبعد عدة أشهر كان لهما ما أراداه، فقد أبهرت لوحاتها الفنية -وهي الفنانة المبدعة- صاحب أحد المعارض ووافق على عرض أعمالها بأجرٍ زهيدٍ ولفترةٍ غير محددة.

كادت تنسى الفرحة العارمة التي عصفت بها لحظة البشرى التي زُفت على مسمعها، حين تعارضت الخطة بعائق السفر، وغياب الصفة التي ستسافر بناءً عليها بعد حزمة القرارات التي منعت الغالبية من حرية السفر والتنقل عبر بلدان العالم.

اقترح -دون تفكير- أن يتزوجا.

ووافقت -دون تفكير- بشرط أن يكون الزواج فقط حبرٌ على ورق، وأن يكون سبيلها للقدرة على المغادرة بصفة نظامية.

أسابيعٌ قليلةٌ عقبت ذاك القرار تضاعفت خلالها الاتصالات والرسائل، وتفاقمت المشاعر في قلبيهما لتلامس الحب وتزيد عنه قليلاً. ووصلت أخيراً إليه بعد أن أتمت جميع المعاملات، وحملت معها عقد الزواج الذي كان بمنظورهما تذكرة عبور ذكية إلى الضفة الأخرى من الحياة.



زواج سفر بقلم: حازم أبو خير

أمسكت الورقة بيدها بعد أن جففت دموعها براحة اليد الثانية، وقالت:

"أنت تعلم أن ما يربطني بك قد تعدى ورقةً مهورةً بختمٍ رسمي. ولكن، إلتزامنا كزوجين سوف يحد من أحلامنا، وسوف يؤثر بشكلٍ سلبي على تحصيلك الدراسي.





لن أسمح لنفسي أن أكون سبباً في تعثرك، وسألوم نفسي طوال العمر إن أصابك شيءٌ من الفشل".

قاطعها بحزم:

"لقد كانت دعابةً أخذت محمل الجد، ولكنني بكل صدق استمتعت بما تطور داخلي من شعور حبٍ تنامى حد التعلق.

أدرك أنني غير مستعدٍ لهكذا خطوةٍ، وغير مهيئٍ لإعالة أحدٍ، فبالكاد أستطيع سد احتياجاتي، ولكنني أجدك الشريكة المثالية لي، وأجد -بنفس الوقت- ألفاً من الحواجز بيني وبينك".



استدارت نحوه بعد أن حررت نفسها من عناقه الجميل، ووضعت الورقة بينهما، وقالت:

"من الإجحاد أن أنكر صنيعك، ومن المستحيل أن أقدر على رد الجميل، وأن أتجاهل المشاعر الجميلة التي بذرتها في فؤادي، وسقيتها من صافي حبك وفيض كرمك.

أما الآن دعنا نكمل المسير فُرادى، وليشق كلٌّ منا ما استطاعه بدرب الغربة المحسوبة على كلينا".

عامٌ كامل مرّ على قرارهما، لم تنقطع خلاله سبل التواصل واللقاء، إلى أن جاءت الفرصة مزدوجةً،

فقد وجد من يتبنى شيئاً من عمله في مجال التصميم.

ولقي فنها استحسان كثيرين.

عادت إليه تحمل في يدها نفس الورقة، وفي قلبها حباً أكبر من ذي قبل.



جمعهما منزلٌ صغيرٌ، وكمٌ كبير من الشغف

أعلنها بعد ليلةٍ واحدةٍ زوجته إلى الأبد

وولته بكامل الرضا مملكة روحها ومفاتيح قلبها.



(السيميائية في رواية ظلال جسد.. ضفاف الرغبة، للروائي العراقي: سعد محمد رحيم) بقلم: مثنى ضياف العزاوي

يقف المتتبع لمسار الرواية العربية عامة عند ثلاث محطات أو مراحل هي " : مرحلة التأسيس "، " مرحلة التأصيل"، و"مرحلة التجريب) وإذا كنا اليوم قد تجاوزنا مرحلة التأسيس حين ظهرت الرواية العربية كجنس جديد في الساحة الأدبية، و مرحلة التأصيل حين حاول النقاد و الروائيون العرب إثبات شرعية هذا الجنس، و البرهنة على قدرته العجيبة على احتواء آلام الإنسان العربي و التعبير عن آماله. لقد وقع اختيارنا على المنهج السيميائي لأنه الأكثر قدرة على دراسة الشخصية انطلاقاً من تراث السيميائيين العرب و الغرب على حد سواء فقد كانت للرواية جذور متطاولة في الأدب القديم كجنس قادر على تقويم الحياة بتناقضاتها كالخير والشر، الحب والكره، الخوف والأمان والاستغلال والاستقلال، كما أنه قادر على بناء أرضية خصبة على أسس نفسية ويصف الدكتور محسن جاسم الموسوي في كتابه (عصر الرواية) بان هذا النوع الادبي اثبت قدرة خاصة ليس في الظهور وحده بل في القدرة على أن يكون في مقدمة الأنواع الأدبية وأكثرها ذيوعاً واذا كان القرن الماضي قد اوجد اتجاهاته الاساسية في الكتابة السردية بأنماطها واهتماماتها. فإن عصرنا الحديث حتم انفتاح الرواية على المتغيرات العلمية والمكتشفات العديدة ، الاجتماعية، التاريخية والحضارية وهنا لابد من تسليط الأضواء على أنواع الشخصيات ومرامي كل شخصية وأبعادها، وكونها ربما جسدت واقعاً مريراً ومرحلة مرّ بها الواقع العراقي ولازال يعيشها والرواية كما يقول الدكتور خالد علي ياس في مقالة نشرها تحت (عنوان الرواية الهجينة) حيث يقول ان الرواية (مشحونة بأنماط فيها ايحاء إلى سيميائية يمكن أن تحيلنا الى صور غاية في الجمال وتشغل مخيلة القارئ وتشدنا لإكمال حدث بعد حدث. غير أن هذه الأنماط الروائية جميعاً، تنوب فنيا بأسلوب واع متمكن ضمن شكل الرواية



النرجسية، أو الرواية داخل رواية على طريقة الميتافكشن، كون الرواية تبدأ منذ سطورها الأولى بسرد ذاتي سيري، على لسان بطلها وراويها علاء البابلي، الذي نعرف في ما بعد أنه يوهم القارئ بلعبة افتراء مقصودة، تتعمد سحبه من أحداث الرواية التي يقرؤها إلى أحداث الرواية التي يكتبها البابلي نفسه).

إن مجال عمل المنهج السيميائي هو اللغة النظام دون اللغة الأداء، وهذا ما جعل السيميولوجيا ممارسة استقرائية استنتاجيه تنطلق في تحليلها للنص الأدبي" من اعتبار النص يحتوي على بنية ظاهرة، وبنية عميقة ، يجب تحليلهما وبيان ما بينهما من علاقات وتقوم على إطلاق الإشارات كدوال حرة، لا تقيدها حدود المعاني المعجمية، ويصير للنص فعالية قرائية إبداعية ؛ تعتمد على الطاقة التخييلية للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي، ويصير القارئ المدرب هو صانع النص. وسنطبق هذا المنهج بدءا من العنوان.

سيمائية العنوان

ان العنوان بحد ذاته يحمل سيمائية موغلة في الدلالة إذا طبقنا عليها المنهج السيميائي فسيكشف لنا عن دلالات تكمن في اغواره. ربما تعمد الكاتب الى صقله بتلك الصياغة لكي يعطي ايحاء بمضمون الرواية وقد تكون هناك وظيفة للعنوان كما سماها "جينيت" أيضا بالوظيفة الإيحائية او إغرائية وقد تكون

(السيميائية في رواية ظلال جسد.. ضفاف الرغبة، للروائي العراقي: سعد محمد رحيم) بقلم: مثنى ضياف العزاوي

الوظيفة الاهم هي الوظيفة الاغرائية فهي تغرر القارئ المستهلك بتنشيطها لقدرة الشراء عنده وتحريكها. وهذا ما سوف يتجلى من خلال قراءة تلك الرواية التي ملحها قائم على الاغراء.

فالعنوان وهو يبدأ بنكرة عرفت بالإضافة ظلال جسد وكأنه اراد ان يقول ان هذا الظل ليس لأي جسد بل لجسد حسب رؤية الكاتب هو خاص لرواء العطار وظلها تلك الملاك التي شبهها بصوفيا لورين قد زلزلت كيان الراوي علاء البابلي ،ثم بعد هاتين الكلمتين هناك(..)علامة ترقيم تشير الى الحذف ربما قد يكون العنون طويلا ولكن براعة الكاتب اعطت إيحاءً بأن هذا العنوان ربما لا يستطيع ان يحتوي ويختزل كل ما في الرواية اذ بقي جسدها مجرد ظل بالنسبة له، لم يتمتع بهذا الظل رغم ما عاناه من شدة حراة اللهفة والنزوة ،واذا انتقلنا الى الجزء الثاني من العنوان ضفاف الرغبة نجد هنا ايضا الكلمة نكرة وكأنها ليست ككل الضفاف او إنها لم يكن هناك حدو ضفاف لبحر عشقه أو انه بقي معها على ضفة رغبته ولم يتحقق له ما اراد منها اذ ان الايروسية التي اشعلت رغباته لم تتحقق مع رواء العطار. ولكن من خلال قراءة الرواية يمكن ان نستنتج ان العنوان هو مختصر لمحتوى الرواية، رواية قائمة على الاغراء ومطاردة المغرية في كل مكان دون الحصول على رغبات البطل.

سيميائية الغلاف.

يقول هيمترون (اسم الكاتب، الغلاف، الناشر، صفحة العنوان، الصفحة الأخيرة، للغلاف ظهر الغلاف) وهي التي تعين الكاتب كمنتوج سلعي قابل للشراء والاستهلاك من طرف القارئ).

فصورة الغلاف لها دلالة قد تكون هي فصلا من الرواية. يمكن ان تطير بالقارئ الحذق الى مخيلة تحمله الى عالم الرواية وكأنه رسم في مخيلته ظل ومواصفات رواء العطار ولكن بلا شك ليس كما وصفها علاء البابلي.

يمكن ان نقول ان اسلوب الكاتب وذكائه استطاع أن يسرق أعيننا ويتحكم بمخيلتنا وعقولنا مما حذا بنا ان نحدق في الرواية ونقلب صفحاتها نعيش في زمنها وتأخذنا نشوة القراءة والتلذذ بأحداثها وصولا الى نهايتها. باختصار فصورة غلاف الكتاب ملازمة للعنوان فاللون الاسود يدل على سوداوية الأحداث المطروحة من حزن وخوف ومأساة التي تجلت في الرواية من خلال حديثه عن الاستعمار من الحرب والدماء و التنوع في الالوان: هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن هذا التنوع راجع إلى الأحداث المتشاكبة والتشكيلية المعقدة او تعبير عن احداث مأساوية وبالتالي فهذا المزج من الألوان لم يكن اعتباطيا أو عشوائيا في اعتقادنا وكأن كل لون من هذه الالوان يعبر عن حدث في تلك الرواية بحيث اذا ركزنا على صورة الغلاف لم نجد فيها لوناً صافياً زاهياً وكأن خيالات الكاتب هي مزيج من افكار وهموم وحوادث لا يمكن ان تسكن كي يستقر لون على حاله الطبيعي فيختلط الأصفر مع الأحمر ليكون وهج برتقالي يعبر عن غيره الكاتب وكذا عجزه أحياناً من ان يقدم شيئاً وحتى اللون الابيض اختلط باللون الازرق مع الغيوم بمعنى حتى في خلوته التي يفترض ان يكون صافي الذهن وقت الاسترخاء فخياله مشغول برواء او بالأحداث والمصائب التي حلت في البلاد. وكذلك صورة المرأة وظلها بهذه العشوائية وكأنها متجه نحو المجهول ليس لها تخطيط مستقبل أو حتى الصورة مشوشة يجعلنا نخمن ان الكاتب اراد البوح بأن شخصية رواء حتى علاء لم يفهما بعشوائية تصرفاتها وكذلك لم يجد لها اسما محددا انها تعيش في عالم التشظي.

سيميائية الشخصيات ☹ الشخصيات الرئيسية علاء البابلي ورواء العطار)

علاء البابلي :فالمثقف كما عبر عنه الدكتور عبد السلام الشاذلي في كتابه (شخصية المثقف في الرواية العربية الحديثة) بأنه هو انسان له

(السيميائية في رواية ظلال جسد.. ضفاف الرغبة، للروائي العراقي: سعد محمد رحيم) بقلم: مثنى ضياف العزاوي



أبعاده النفسية والروحية والمنهجية والتمرد والرومانسية كما ان هذه السمات العامة عادة ما تتشكل في نطاق المواقف الاجتماعية والحضارية) وتقول جوليا كرستيفا (القيد الاساسي الذي يؤثر في اي ممارسة اجتماعية يكمن في انه يحمل دلالة) فشخصية علاء وبهذا الاسم (علاءالبابلي) ربما لها دلالة موغلة في التاريخ اذ يمثل ثقافة العراق منذ حضارة البابليين، وكيف يكون الصراع بين الثقافات والمثقف وكل مغريات الحياة ومصائبها وتحدياتها وكيف يتعامل المثقف إزاء تلك التحديات او قد يكون الشاهد على ما يجري من احداث ويوثقها نيابة عن التاريخ اذ يمكن ان تعد هذه الرواية وثيقة تاريخية. وكيف ويتفتق الحب في صدره محدثا زلزالا في اضلعه، تراه يبحث عنها متحرياً في كل مكان كلما سمع هيعة عنها طار لذلك المكان نعم انها قضية متشابكة كأنه يبحث عن نصف وجوده مما ادى به ان يكون منشطر الكيان وبحياة بلا توازن، لم يستطع ولو للحظة ان يعزلها عن حياته والتفكير بمستقبله كدكتور في عالم الاقتصاد والسياسة المالية.

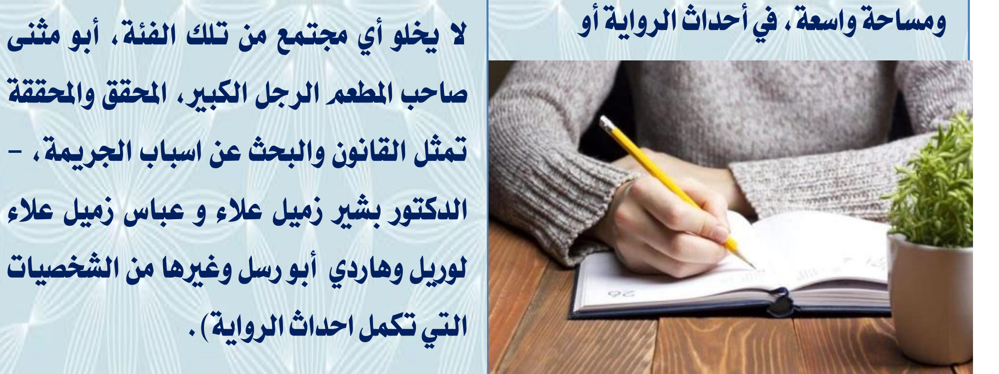
رواء العطار:(تغريد الحاج، نسرين الصفار نوافل، مديحة قاسم، اوديت بنيامين، ناهدة حداد، زينب العطية) كثير من الاسماء والصفات التي تميزت ونعتت بها وتكون الشخصية بمثابة دال من حيث انها تتخذ اسماء او صفات تلخص هويتها والشخصية كمدلول بواسطة تصريحاتها او اقوالها وسلوكها ولا تكتمل صورتها الا عندما يكون النص الحكائي قد بلغ نهايته ويترتب على ذلك أن تكون الشخصية متعددة الوجوه وكل اسم في اي موقف او مشهد من الرواية له دلالته التي يمكن ان نستنتجها من خلال المواقف التي مرت بها او للغايات التي ترومها تلك الشخصية المدورة بما تحملها من تناقضات، ويقول الدكتور عبد السلام الشاذلي عندما يضع الكاتب في روايته شخصية فتاة او سيدة متحضرة او مثقفة تراه لا يعني بها الا رمز عن موقف المثقف في الرواية وهذا يعني ان لشخصية رواء وبما حملت من القاب واسماء متعددة هذا يعني ان الكاتب لم يدخل هذه الشخصية وبهذه الاسماء المتعددة اعتباطيا بل انها في كل اسم وبكل حدث زمان ومان لها دلالتها وسيمائيتها التي اراد الكاتب ان يوصلها للقارئ وكذلك ابتسامتها التي شبهها بصوفيا لوين الممثلة المشهورة في السينما وبما وضع لها من صفات في عينها فشبهها بالنظرة الحيوانية المتوحشة اشبه بعيون الصقر وكذلك اعطاها ميزة يميل لها الرجل العربي وهي تفاصيل الجسد من خصر ومؤخرة وكذلك قد تكون رمز لاختبار شخصية المثقف العراقي

وكيف يتعامل مع هذه الشخصيات المتحضرة مرة بوصفه استاذا مثقفا ومرة اخرى بشخصيته الاعتيادية ومرات اخر بشخصية الانسان ذي النزوة الجنسية وجسد رواء كان مدار السرد بالنظر إلى ما يملك من سمات جماليّة حاولت الرواية الإفصاح عنها، فهو جسد متعدّد الدلالات يصلح أن يكون مرآة للسرد كما وصفه (الدكتور فاضل عبود التميمي) في مقالة له نشرت في مجلة (تامرا) تلك الشخصية النسوية المتحضرة بحضارة الغرب سلبت كيان المثقف وكذلك أغلب مستويات الشخصيات التي تعيش في واقع له كثير من التقاليد والالتزامات وقد تكون رمز عن فوضى او اله للقتل تستغلها اجندات خارجية او داخلية لنشر الرعب والدمار حيث استهدف معظم طبقات المجتمع العراقي.

(السيميائية في رواية ظلال جسد.. ضفاف الرغبة، للروائي العراقي: سعد محمد رحيم) بقلم: مثنى ضياف العزاوي

الشخصيات الثانوية

وهي شخصيات يأتي بها الكاتب لدعم الشخصية الرئيسية و تتميز عن الشخصية الرئيسية ربما في درجة الاهتمام، فالاهتمام الأكبر يكون للشخصية الرئيسية إلا ان الشخصيات الثانوية ما هي إلاّ شخصيات مساعدة فالشخصيات الثانوية مشاركة في الحدث وليست مجرد ظلال الشخصية الثانوية لها مكانتها و دورها في الرواية و الكاتب الحاذق هو الذي يهتم ويستغرق في هذه الشخصيات(الثانوية)، كما يهتم بالشخصية الرئيسية فلشخصية الثانوية لها دور مهم في هندسة البناء حتى وإن تنوعت بين شخصيات ذات دور كبير ومساحة واسعة، في أحداث الرواية أو



شخصيات دورها بسيط. وكل شخصية في هذه الرواية لها دلالة عن مكون من مكونات المجتمع العراقي كي تعطي بعدا واقعيا اخر للرواية كونها شخصيات اخذت من تركيبة المجتمع العراقي وهي التي استهدفت وكانت ضحية للأحداث او للشخصية المبهمة لرواء العطار ومن تلك الشخصيات (الدكتور عامر الفهد: وتمثل شخصية المثقف الدكتور واهم طبقات المجتمع الدكتورة حنين الاستاذة الجامعية' المحامي بهجت شخصية تمثل القانون، الشاعر رأفت الرحال ويمثل الثقافة والمثقف ، حمدي شخصية كادحة، أبو غسان حسام، المطيرجي شخصيات بسيطة من عامة المجتمع، أم تغريد ونرمين تمثل فئة قليلة من بائعات الهوى التي لا يخلو أي مجتمع من تلك الفئة، أبو مثنى صاحب المطعم الرجل الكبير، المحقق والمحققة تمثل القانون والبحث عن اسباب الجريمة، - الدكتور بشير زميل علاء و عباس زميل علاء لوريل وهاردي أبو رسل وغيرها من الشخصيات التي تكمل احداث الرواية).

سيميائية المكان والزمان:

هناك علاقة بين المكان والدلالة (المعنى) ليست علاقة وصف فقط وانما علاقة تبعية وخضوع فالمكان ليس مسطحاً املس او ليس مجرداً او عارياً من اية دلالة محددة لها سيمولوجية كما عبر عنها (رولاند بورنوف) ان الرواية مشحونة بالأمكنة فكل مكان له دلالته ولكن لسنا نخوض في كل الامكنة ولكن اختار الكاتب العاصمة بغداد وبعض احيائها المختلفة كون العاصمة هي تمثل العمود الفقري للبلد وهي رئة المكان الذي بنيت عليه الرواية او يمكن ان تدل على عراق مصغر بكل مرجعياته

الايدلوجية والقومية والدينية) فكانه اراد ان يقول ان الوضع في بعقوبة وفي أي محافظة أخرى هو الوضع نفسه في باقي المحافظات من خطف وقتل وسفك للدماء ودبابات المحتل والهمر تجوب شوارعه. فشخصيات الكاتب تحركت في ذلك المكان لكي تكون جزء من واقعه وكما تقول



(السيميائية في رواية ظلال جسد.. ضفاف الرغبة، للروائي العراقي: سعد محمد رحيم) بقلم: مثنى ضياف العزاوي



رفيقة سماحي، (حين تتحرك الشخصيات في المكان تتمثله وتستبطنه) وزمن الرواية هنا مهم كونه يعطي دلالة على أحداث واقعية في مكان واقعي وان كانت الاحداث من خيالات الكاتب والزمان ليس بالضرورة ان يكون واقعي حقيقي لكنه كان واقعيا هنا، فالزمن هنا لعب دورا مع المكان ،هو محوري وعليه تترتب عناصر التشويق ويعطي ايقاعا واستمرارية للأحداث وكذلك يمكن ان يكون حاضرا محركا لتتابع الاحداث وصيرورتها وكذلك يحدد طبيعة الرواية وشكلها .فزمن الرواية حدد طبيعتها وقت الاحتلال الامريكي وتحكمه بكل مسببات الحياة ومصادرها في العراق وبسبه انتشرت الفوضى وظهور خلايا عاثت في الارض فساداً، من قتل وخطف ومساومات ونشر الرعب .فالزمن هنا جاء مطابقا لاحداث الرواية مع واقعية إماكنها. انها تحسب للكاتب بلا شك.

-سيمائية الألفاظ المحلية

لم يخلق الكاتب هذه الالفاظ من العدم وإنما التقطها من واقع الحياة اليومية المعيشة التي لا يغطيها شيء وهي سائدة مما اعطى جمالية للغة الرواية وأعطت تصويراً يجعل القارئ وكأنه يعيش في احداث الرواية لان هذه الالفاظ هي من مخزونه ومخيلته التي يعيشها في واقع اشبه بعالم الرواية ومن تلك الالفاظ التي اعطت واقعية للرواية أكثر هي:

(كهربتني، كهربت، تشخبط، سلسفيل اجادي، نفسي تلوب، حدجتني، بالعة آلة تسجيل، يهد الحيل، طيحان الحظ يعيطون، في حالة دوخة، قلت وانا الهث، يتعتعني السكر، خزرته، كركرت، حيص بيص، ولكل منها معنى ودلالة حسب السياق الذي قيلت فيه وقد نشر معناها في بحث مسبق).

وختاماً نقول ربما لا تقل هذه الرواية شأناً ومكانة عن رواياته الأخرى (مقتل بائع الكتب، ترنيمة امرأة شفق البحر، وفسحة للجنون) وهذه الرواية اعطت واقعية كبير لمرحلة مر ويمر بها المجتمع العراقي مرحلة اختلط فيها زمن الماضي مع الحاضر والسؤال المهم كما أجبنا هو كيف وظف تلك الشخصيات ونظم والمكان والزمان؟ .كيف رسم الشخصيات؟ وأعطى دوراً لامرأة متعددة الاسماء وكثيرة الاغواء ان تتحكم بالسرد وتتحكم بشخصية علاء البابلي المثقف طالب الدكتوراه أو مدرس الاقتصاد السياسي في كلية الادارة والاقتصاد، كيف جعلته يطارد ظلها بعد ان اعطته جرعة صغيرة من مفاتنها لتنكشف له عدة شخصيات بصفته مثقف ثقافة اكاديمية ومرة ثقافة مجتمعية واحيانا مثقف معاصر، فالأشياء المحيطة في العالم الخارجي قد اثرت على الذات لدى علاء وغير علاء وهذا ما لاحظناه من ركضه وهو يلهث عن رواء رغم المخاطر التي مرت بها احداث الرواية. ودفتي الرواية يمكن لها ان تحتوي الفائض من الدلات والايحاءات وكذلك يمكن تطبيق الكثير من المناهج النقدية الحديثة عليها لأنها بحق تمثل ما وراء الرواية أو الرواية الهجينة كما وصفها الدكتور خالد علي ياس.



أوهام قاتلة للكاتبة: سوسن نبيل عامر



مسكينة هي ..

صراع داخلي تعيشه منذ أشهر.. حرب اندلعت بينها وبين نفسها من سيوقف هذه الحرب؟ من سيخمد نارها؟ أي نارٍ هذه التي اشتعلت بداخلها وهزت كيانها لتقلب حياتها رأساً على عقب.. إنها نار الحب ممزوجةً بنكهة الوهم

ذاك الوغد أحقاً يحبها؟! هي تعترف أنه يحبها بل ومتأكدة من ذلك وهي الأخرى ترفض هذا ..

أي معادلة هذه؟ إلى متى؟ إلى متى ستبقى تكابد ذاك الصراع الأليم؟

واقفة بأقدامٍ تأبى الرحيل ..

مئات الأفكار والأسئلة تدور في رأسها لا تملك حق الإجابة عليها

ماذا تفعل بتفاصيلك المحفورة على جدار ذاكرتها؟

كيف تمضي سبيلاً وأقدامها ما زالت مسمرة في أرضك؟

كانت ليلة ماطرة شديدة البرودة والرياح تعصف في الخارج والرعد يدوي في السماء

زويا خائفة ولم يكن أحد سواها في المنزل يستوقفها صوت نغمة هاتفها.. إنه سام

بيدين مرتجفتين تمسك الهاتف لتجيب ..

سام بصوت مختنق: "زويا أنا متعب جداً ومريض".

زويا: "ما بكَ يا سام ما الخطب".

سام: "قلت لك أنني متعب يخيل إليّ أنني أعيش لحظاتي الأخيرة"

زويا "إنه مجرد وهن دعكَ من تضخيم الأمر.. أما أنا لا أدري كيف ستمضي هذه الليلة يا سام أنا جداً خائفة"

عمّ الصمت قليلاً وزادت حدة الخوف في قلبها..



سام هل تسمعني؟ أين أنت؟

لا إجابة تصل إليها من الطرف الآخر الثواني أصبحت كالساعات تسير ببطءٍ شديد..

أغلقت زويا الهاتف ونهضت مسرعةً إلى الخارج اجتازت الطريق المجاور لمنزلها حتى وصلت إلى بيت سام حاولت أن تفتح الباب الذي تركه سام دون قفل كاد قلبها أن يتوقف من شدة الخوف دخلت مسرعةً وهي تنادي باسمه لتجده مستلقياً على سريره أخذت توقظه حتى فتح عينيه أحاطها بذراعيه وضمها إلى صدره ارتعش جسدها وقفزت مبتعدة عنه.. سام ماذا تفعل؟!

نهض من مكانه وأغلق الباب اقترب منها ودس رأسه بين خصلات شعرها

صرخت مذعورة.. سام افتح الباب أرجوك لماذا فعلت هذا؟

اصمتي لا أريد أن أسمع منكِ شيئاً

اقترب منها هامساً ..

ماذا فعلتي بي حتى أصبحت لا أرى غيركِ في الوجود.. عيناكِ التي أغرقتني في غيبوبة عشق عند كل نظرة منكِ.. انحناءات جسدكِ عندما تمرين أمامي.. بي ظمأ لا يرويه إلا أنتِ.. وجوع لا يشبعه إلا أنتِ

زويا تبكي بحرقةٍ.. لا تفعل هذا أرجوك لا تخذلني

مرت تلك الليلة وكأنها كابوس لم تستيقظ منه أبداً

بقي سام على حاله يتأمل سقف الغرفة وهي إلى جانبه بلباسها المكشوف الذي لا يغطي سوى جزء بسيط من جسدها والدموع تسيل على وجنتيها..



أوهام قاتلة للكاتبة: سوسن نبيل عامر

استجمعت قواها ونهضت ترتدي ملابسها ثم غادرت المنزل بهدوءٍ تام دون أن تنبس بكلمة، مشت بخطواتٍ متثاقلة تبكي ألماً على فعلته التي فعلها بها وتردد ذات السؤال كيف تجرأ على فعل ذلك؟ أهذا هو الحب الكبير الذي خدعني به طيلة سنوات؟

مضى يومٌ لم تكلمه زويا حتى هو لم يحاول أن يكلمها، استيقظت زويا صباح اليوم الثالث على خبر وفاة سام إثر حادث سير أليم

دخلت في غيبوبة إثر صدمة الخبر، فما هي إلا بضع دقائق حتى زال الغباش عن عينيها واستعادت بصيرتها، مضت دقائق حتى استوعبت ما سمعته وراحت تبكي بحرقةٍ شديدة وتتذكر كل لحظاتها معه ويزداد بكائها حدة على ما فعله بها.

جراء صدمتها بخبر وفاة حبيبها وحادثة الاغتصاب التي تعرضت لها قبل أيام تعرضت زويا لأزمة نفسية وتخللتها نوبة اكتئاب حادة، مضى أسبوع لم تذق به طعم النوم، منذ ذاك اليوم لم تعد زويا كما كانت، شيء ما بداخلها قد كسر وليس من الممكن إصلاحه تذكرت حينها مقولة قرأتها يوماً..

"بحياة كل احد فينا في لحظة بتقلب حياتنا رأساً على عقب ومن هاللحظة ما عاد نعرف نرجع متل الأول".

دخلت إلى غرفتها كي تستريح استلقت على سريرها بينما أغمضت عينيها أحست بأن شيئاً يقبض أنفاسها حاولت أن تصرخ بأعلى صوتها لكن شيئاً ما كان يمنعها من الحركة والكلام مضت بضع دقائق حتى استعادت قوتها، احتضنت جسدها المرتعش لتهدأ أنفاسها المتقطعة رفعت يدها وهي تنظر إلى ارتجاف أناملها فتحت عينيها وحاولت النهوض مسرعةً



وترك فراشها لكن هذه الرعشات تفقدها توازنها، أخذت تتلفت حولها وترى أشياء تحيط بها.. ليست أشياء في الواقع بل كانت شياطين، نعم شياطين..

مضى شهر على هذا الحال كوابيس تتكرر كل ليلة ولا تفارقها، كائنات غريبة تطاردها في نومها تستيقظ مذعورةً صباح كل يوم لتجد على جسدها آثار ندوب وكدمات لم تعرف مصدرها..

في بعض الليالي ترى أمامها شبحاً أبيض اللون ينظر إلى الأعلى ويتحدث مع أحدٍ ما ويحاول أن يقتلها..

أحياناً ترى قططاً سوداء اللون تقف على نافذة غرفتها وتصدر أصواتاً غريبة وأحياناً أخرى يخيل إليها أصوات أبواب تفتح وتغلق ببطءٍ إلى القرية.

وأصوات أغانٍ صاخبة وضحكات هستيرية تتعالى من حولها..

سئمت زويا هذا الحال وحاولت أن تطرد تلك الأفكار والهواجس من رأسها لكن عبثاً دون جدوى. هواجس؟ !

أيعقل أن يكون هذا الشيء نتيجة هواجس عابرة وأوهام تتصورها في مخيلتها بسبب الحادثة التي تعرضت لها؟! أم أن زويا كانت ترى ذلك في الواقع؟ يوماً بعد يوم ازدادت الأمور تعقيداً وزادت تلك الهواجس بشكلٍ عجزت زويا عن تحمله ..

في ليلة من ليالي الشتاء الباردة والمطر يهطل بغزارة والظلام الحالك يخيم على المكان كانت الساعة تقارب الثالثة فجراً بينما زويا مستغرقة في نومها رأت كابوساً مروعاً ولكن هذه



أوهام قاتلة للكاتبة: سوسن نبيل عامر



المرة كابوس من نوع آخر رأت كائناً غريباً أسود اللون على هيئة رجل عجوز مفقوء العين يقترب من بعيد ويدخل من بوابة وكأنه الوحيد المسلط عليه الضوء وسط تلك العتمة الحالكة.. عجوزٌ على وجهه شبح ابتسامة ساخرة راح يقترب منها حتى صار أمام وجهها وبلحظةٍ.. تحولت الابتسامة إلى ابتسامة كاملة ظهرت فيها أسنانه وأنيابه ملطخةً بالدماء، اتسعت حدقتا عيناها على أخرهما ونظرت بعيداً.. إنه الموت يا إلهي إنه الموت.

صرخت برعبٍ وحاولت ابعاده عنها لكنه اشتد أكثر فأكثر حتى أصبح يخنقها، بدأ جسدها يتشنج ضمت ساقاً فوق الأخرى وتقوس ظهرها قليلاً، شعرت باختناقٍ في صدرها وبدأت تسمع دقات قلبها بوضوحٍ ثم رأته.. بل رأتهم.

من هذا يا ربي هل هو ملك الموت؟ يا إلهي أرجوك لا تفعل بيّ هذا..

اليوم أدركت زويا أنها لن تنسى وأن ما حدث



لايزال نصب عينيها مهما حاولت إغلاقهما.. اليوم أدركت أن محاولاتها في نسيان ما حدث لم يحقق نجاحاً فلا ذاكرتها توقفت ولا ذكرياتها انمحت.. اليوم أدركت أن قلبها مازال ينز ألماً وأن ذلك الكابوس سيرافقها طيلة حياتها حاولت مرات عدة أن تتخلص من هذه الكائنات التي ترافقها في نومها ويقظتها لكنها لم تستطع حتى بات ذلك يسيطر عليها كلياً مما دفعها إلى التفكير في الانتحار ظناً منها بأنه الحل الوحيد الذي سيخلصها من هذا الشيء.

صعدت زويا إلى الطابق العلوي بينما كان الشيطان يستولي عليها وسط لهيبه الحارق ووقفت على سطح البناء ورمت بنفسها إلى الأسفل شعرت وهي تقع بأن شيئاً ما يشدها إلى الأعلى هي لا تريد أن تموت هم من يريدون ذلك حتى في أثناء موتها لا يتركوها وشأنها.

مسكينة هي..

يا له من قدر لعين حكم عليها بشقاءٍ يسكنها.



النهاية

ندبة كلمة للكاتبة: ربوع محمد جابر

كانت الأخاديد تعبر جسدها، كأرض عبرتها عواصفُ، ورسمها مطر عينيها اللوزيتين من جديد، لتشرق روحها بطيف قوس قزح ويعودَ اللون الواهج لوجنتيها، وكل معاركها هذه مخبئة وراء قناع المرأة الجبارة، كل هذا اللين واللطف متقوقعٌ في عمق الذاكرة يرفض الخروج، ولا نافذة للذاكرة سوى العينين.

هاتين العينين الرماديتّين تحملان من الجمر ما يحرق قبيلة و بواديها، خلف هاتين القبضتين المتناوبتين في ضرب الخصم، كانت أمان في مواجهة خصمها الأكبر وهو الخوف.

أمان.. لطالما كان اسمي فضفاضاً مقاس شخصيتي، تلك الأخيرة بلورة هشة لقنديل عتيق رقيق، منسيٌّ على رفوف الذاكرة.

لكن حقاً صدقَ من قال أحزاننا وخيباتنا هي التي تصنعنا

فخيبة بعد خيبة كانت نار الانتقام تغلي حتى غدا قنديلي شعلة حرة لا تقولبها بلورات هشة، وعندما أعلنت على ضعفي الثورة وجدتني على مقاس اسمي تماماً، ربما تأخرت قليلاً لكن لا بأس أن تصل متأخراً خيرٌ من أن لا تصلَ أبداً.

لنترك أمان تتابع تدريبها، ونتابع جولتنا في المكان، لكن لحظة هناكَ عينان تراقبانها من بعيد، تبوح نظراتها بشوق عارم أقربها، لارتشاف كلماتها وإشعال رماد عينيها بالحب.

كان يستند بقامته الفارعة للحائط ويتأملها، يتذكر كيف كان أول تدريب لها، كم مرة سقطت أرضاً، وكيف تحول جسدها لخارطة من بقع مزرقة وبنفسجية بعد كل تدريب، يملأه الزهو الآن بأنه مدربها، وكذلك تلوعه الخيبة لعجزه عن معرفة سر غموضها.





يتقدم نحوها بخطواتٍ واثقة ويصفق لها:

_أحسنتِ يا أمان، يكفي اليوم.

_.....(لا تجيب بل تتابع لكماتها للكيس)

_أمان، توقفي ألا تسمعينني؟

ازدادت حدة لكماتها وأخذ جسدها يرتجف بشكل واضح، اقترب منها وأمسك كتفيها، التفتت نحوه ولكمته بسرعة وهي تصرخ: ابتعد عني

تفاجأ مدربها زياد من ردة فعلها وابتعد عنها، انتبهت أمان لنفسها متأخرة وركضت خلفه معتذرةً: أعتذر جداً، لم أكن بوعيي.

ابتسم دون وعي منه وردّ عليها: لا عليكِ، لاحظتُ أنّك لست على ما يرام.

تصببَ العرق من جبينها وسألته: ماذا لاحظتَ بالضبط؟

أجابها مستغرباً توترها: لم تسمعينني وكنتِ ترتجفين

مسحت جبينها بظهر يدها وقالت: كنتُ بكامل تركيزي

وبحركتها البسيطة انتبه زياد لندبةٍ على معصمها، أمسك يدها وسألها: ما هذه؟ (مشيراً للندبة)

سحبت يدها بسرعة وردت متلعثمةً: جرح قديم دوى صدى جوابها في أنحاء قلبها، وهرب ذلك الأخير من وقع الكلمة إلى لحظة وقوعها:

كانت تمشي وحيدةً في باحة مدرستها، التي لطالما ضاقت عليها رغم اتساعها، صامتةً رغم



ندبة كلمة للكاتبة: ربوع محمد جابر

امتلائها بالأطفال وضجيجهم، ربما لأن صوت أفكارها طغى على محيطها؟ !

أم لأن طيف وحدتها يخنقها؟

كانت تبحث عن القبول منهم، لكنها تنبذ بطريقة قاسية، وفي ذلك اليوم كانت أقصاها، عندما ارتطمت بها الكرة فأوقعت جسدها الهزيل أرضاً وصفعتها حصاة الباحة تباعاً حتى جرحت معصمها، وعندما اقترب منها الأطفال ليأخذوا الكرة صرخت بهم ورمت الكرة بعيداً مستغربةً الجرأة التي سرت في أوصالها رغم ألمها لكن أكبرهم حجماً أمسك معصمها النازف وشدّ عليه حتى شعرت بالحصاة ترجم روحها ولا تلوث جرحها فحسب..

أعادها من باحة مدرستها صوت زياد: أمان بماذا شردت؟

ردت بصوت مقهور: لا شيء يذكر.

تجاوزت بخطوات سريعة وهي تسترجع الذكريات مجدداً.

الطفل: ستندمين على فعلتكِ هذه.

دفعها أرضاً ومضى مع شلته، تتالت الأيام وأذاهم يزيد، لم يحملوا من الطفولة سوى اسمها ولم تحمل أمان من اسمها سوى حروفه، كانت تعيش في خوف دائم، صراخ وشجار دائم في المنزل، تنمر و نبذ في المدرسة.

عادت أمان لواقعها ومسحت دمعها وهي تهمس بحنق: لن أبكي مجدداً بل سأبكيهم، اقترب موعد تصفية الحساب ولو متأخرة، سأنتقم من كل شخص غذّى الخوف في قلبي يوماً، من كلِّ شخص رماني بأذى ذات يوم.

وفي آخر يومها كانت تجلس أمامها حاسوبها وفنجان قهوتها نديم سهرتها، وبدأت تكتب على مدونتها الشخصية:

هل أبدو متطلبة إذا تمنيتُ حياةً طبيعية؟

والدان طبيعيان لا يذكروني دوماً بأنهما لم ينفصلا كرمى لي، بالمقابل انفصلتُ أنا عنهما.

أصدقاء طبيعيون لا يستخفون بتفاصيل، ولا تعنيهم الصداقة ما لم أكن تابعة لهم مقلدة إياهم.

أيُّ حياة أعيش؟ جحيم في إطار فاخر من الكذب.

ارتشفت القهوة من فنجانها، وأعلن بريدها الإلكتروني وصول رسالة: "لا لستِ متطلبة أبداً لكن لكلٍّ منا معركته الخاصة "

صديقك شاهد آلامكِ.

رنت كلمته الأخيرة في رأسها، وقررت الثورةَ على معركتها: يوماً تلو يوم عرفتُ خطئي ألا وهو صمتي وضعفي، عاهدت نفسي اليومَ ألا أصمتَ ولو كلفني الأمر حياتي.

وهنا بدأت صرخاتي المكتومة تتبدل بأخرى أقوى عندما قررتُ ألا أحمل لنفسي سوى الحب والحب فقط.

أغلقت حاسوبها وهمست لكن هناك دين وجب رده وفي صباح اليوم التالي توجهت بعنوان ذاك الفتى العالق في الذاكرة كما شباك العنكبوت،

رأته جالساً خلف مكتبه بذات الغرور، تقدمت منه ولم يعرفها فقد تبدل الشعر القصير بليل حالك يسكن شعرها الحريري الطويل، وتبدلت ترهلات جسدها الغض بقوام ممشوق مشدود، لمعت عيناه عندما بادرته السلام ومدّت يدها، صافحها فشدت على يده وقالت له مشيرةً للندبة: أتتذكر ذاك اليوم؟

لم يرد وقد اعتلت ملامحه المفاجأة، تابعت أمان يومها هددتني بأنك ستجعلني أندم، وبسببك عشت أسوأ أيام عمري، بفضل تنمرك المستمر وشلتك.

رد متجاهلاً ألمها: لكن تلك الأيام والتصرفات ذهبت وأصبحت من الماضي.

تقدمت نحوه ولكمته أول لكمة: لكنها حاضرة هنا في قلبي و ها هي على جسدي.

لكمته بقوة أكبر وأكملت: كلامك المسموم، وضربات السامة لم تمحيها الأيام.

وتابعت ضربه حتى سقط أمامها وداست بكعب حذائها العالي على معصمه: والآن أصبحنا متعادلين.



مغفلة تشيخوف للكاتبة: أريج شوكت جبور

لقد تركت أحب الأحياء على قلبي، تركته أخيراً. وقد اعتدت التنقل بين المنازل والأحياء، وتعلمت كيف لا أعلق قلبي في أي مكان مهما بلغ في شاعريته وأنسه، أو قربه من قلبي.

ومنذ طفولتي تعلمت ألا أعترض على حكم الخالق، وأيضاً لم أعترض يوماً في وجه أي من السادة الذين خدمت في منازلهم. وهذا راجع إلى أنني عشت أول طفولتي برفقة أمي، كنا حينها خدم وسط قرية يملكها رجل يدعى بين الناس بالأمير.

إلى اليوم أذكر صورته، لقد رأيته مرة واحدة في حياتي، وكان ذلك في أحد أيام الآحاد، وأذكر أيضاً أنه كان هنالك بقرة مريضة منذ أسبوع، وكان عمال القرية وفلاحوها يتناقلون خبر البقرة بكثير من الاهتمام، ولكنها في يوم السبت من ذلك الأسبوع نفقت البقرة بعد تهالك صحتها، ورغم أن الرئيس المسؤول عن إدارتنا لم يكن بالرجل الكريم أبداً، إلا أنه قرر بشكل نقيض لعاداته أن يذبح البقرة ويوزعها على الخدم والعمال. كنت أبلغ عشر سنوات من عمري وكنت متحمسة جداً لأتذوق طعم اللحم البقري لأول مرة في حياتي.

ولكن في روسيا وكما يعلم الجميع لا يمكن لخبر أن يُكتم مهما بلغت تفاهته. ففي يوم الأحد كانت قد ذبحت البقرة وقام المسؤولون عن مطبخ القرية بطهي اللحم وتوزيعه علينا، كان لنا كمية كافية لي ولأمي، ولكن لست أدري لماذا كانت أمي تمنعني من أن أتناول الطعام، كنا جالستين حول المائدة الصغيرة، نشتم رائحة اللحم المطهي، وقد سال لعابي، ولم أقدر التحمل أكثر، ولكن وقبل أن أطعم لقمة واحدة حضر الأمير، وكان مغتاظاً غاضباً، عيونه محمرة يشع منها الشر والكره.

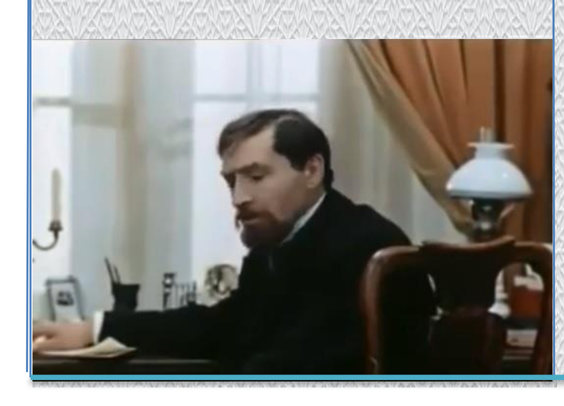


وقاموا بتجميعنا في الساحة حوله، ومنعونا من العودة لأكواخنا، أذكر أننا سرنا طيلة النهار بين الأراضي الوعرة، حتى غابت الشمس وقد تضورنا جوعاً، إلى أن وصلنا إلى أرض صخرية قاحلة، أمسك الأمير بفأس كبير وكانت تلك أول لحظة أراه بها من قرب، وراح يخبط الفأس بالأرض القاسية، ثم أمسك كل من العمال بمديته ورحنا طوال الليل نحفر ما استطعنا في الأرض، إلا أن الأمير هدأ بعد ساعتين وارتمى فوق كرسي خشبي أحضروه له، وراح يتنهد، وبعد دقائق من استراحته غادر ولم يعد.

أما نحن فبقينا نحفر هذه الأرض ثلاثة أيام مستمرة، ثم جاء الرئيس وأصدر أمره بالعودة إلى القرية.

وعندما عدنا كانت الكلاب والقطط قد أكلت طعامنا، رجل وحيد هو الذي استطاع أن يتناول طعامه قبل أن يذهب، كان يدعى "عجول" إنه رجل أناني، هذا الانطباع الذي أتذكره له، لكنه ليس حديثنا الآن.

ولم تمض سنة واحدة حتى انفجرت فضيحة بالمدينة، تقول أن الأمير حول بعض العاملات في القرية إلى بغايا، وبعد أيام بيعت القرية على أجزاء، والأرض التي نعمل بها بيعت لرجل اشتراها ليهديها لابن زوجته الأرملة، وكان قد اشتراها ليبني علاقة ودية مع الفتى الصغير، ولكن قام بتسريحنا جميعنا لأنه لم يكن يريد أن يُعمل في الأرض، بل كانت منذ أن اشتراها



مغفلة تشيخوف للكاتبة: أريج شوكت جبور

وقدم الصك لابن زوجته، لا تعنيه ولا يهمه أمرها.

سكنا في المدينة عند عمتي، ولكن أمي لم تحتمل أجواء المدينة ومرضت مرضاً شديداً، وبعد أقل من عامين توفيت أمي، وبقيت تحت رعاية عمتي الوصية الوحيدة علي. ولم تنتظر عمتي بدورها كثيراً، ولم تصبر علي بل أحضرتني وقامت بتجهيزي لأصبح خادماً نجيباً بين النبلاء، وقالت لي -وإلى اليوم لا زلت أذكر قولها-: إننا إذا ما استطعنا أن نكون من النبلاء فلنكن خدماً لهم، المهم ألا نقصى من هذه الطبقة.

وهكذا رحت أتنقل بين المنازل، أقصد هذه حكايتي التي أوصلتني بصفة مربية إلى منزل الطبيب أنطون بافلوفيتش تشيخوف، الرجل الطيب الذي ذكر اسمي في الجرائد حال رحيلي.

لقد دعاني إلى مكتبه ولو لم يفعل لغادرت المنزل بعد انتهاء خدمتي ودون أن أتقاضى روبلاً واحداً..

وقال لي أول الأمر: إننا اتفقنا على أن يدفع لي ثلاثين روبلاً في الشهر، وهذا غير صحيح، لأننا اتفقنا على أربعين، وقلت له ذلك لكنه أصر على ما يقول، فلم أتمكن من معارضته.

صوب ناظريه نحوي وقال:

_لقد عملتِ لدينا شهرين

قلت له: شهرين وخمسة أيام. وهذه المدة التي قضيتها فعلاً، لكنه أصر على قوله وأضاف قائلاً:

_تستحقين (ستين روبلاً)، نخصم منها تسعة أيام آحاد، فأنت لم تعلّمي الصغار في أيام الآحاد بل كنت تتنزهين معهم فقط، ثم ثلاثة أيام أعياد.

استذكرت حينها كل الذين صرخوا في وجهي





يوماً، حاولت أن أعترض ولكنني لا أمتلك الشجاعة لهذا.. توترت وتشنجت أطرافي ورحت أعبث بأهداب فستاني مثل طفل يوبخه معلمه.

واصل يقول:

_نخصم ثلاثة أعياد إذن فيصبح المجموع (اثنا عشر روبلا)، وكان (كوليا) مريضًا أربعة أيام ولم يكن يدرس، كنت تدرّسين لـ (فاريا) فقط، وثلاثة أيام كانت أسنانك تؤلمك فسمحتْ لك زوجتي بعدم التدريس بعد الغداء، إذن اثنا عشر زائد سبعة= تسعة عشر، نخصم، الباقي إذن (واحدًا وأربعون روبلا)... صحيح؟

أصابني دوار شديد في رأسي، وتمنيت لو أنّ الأرض تشقّ وتبتلعني، لقد كرهت السيد تشيخوف غاية الكره في تلك اللحظة، كان يشبه كل من مرّوا قبله، أردت أن أبكي، واحمرت عيني

من فرط الدموع، ولكنني لم أتمكن من التفوه، أو قول كلمة: لا، بوجهه.

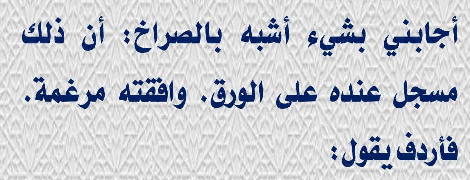
فأكمل يقول وقد عقد لساني:

_قبيل رأس السنة كسرتِ فنجانا وطبقاً، نخصم (روبلين)، الفنجان أغلى من ذلك فهو موروث، ولكن فليسامحك الله! علينا العوض!! وبسبب تقصيرك تسلق (كوليا) الشجرة ومزق سترته، نخصم عشرة، وبسبب تقصيرك أيضاً سرقتْ الخادمة من (فاريا) حذاء، ومن واجبكِ أن ترعي كل شيء فأنت تتقاضين مرتباً! وهكذا نخصم أيضاً خمسة، وفي 10 يناير أخذتِ مني (عشرة روبلات).

لكن هذا لم يحدث أبداً، وقد قلت له ذلك، لكن أجابني بشيء أشبه بالصراخ: أن ذلك، لكن



مغفلة تشيخوف للكاتبة: أريج شوكت جبور



أجابني بشيء أشبه بالصراخ: أن ذلك مسجل عنده على الورق. وافقته مرغمة. فأردف يقول:

_من واحد وأربعين نخصم سبعة وعشرين، الباقي: أربعة عشر روبلًا.

تملكتني رغبة بالبكاء وشعرت نفسي أختنق، وانسدت حنجرتي عن الهواء، وبمشقة بالغة أجبته: إنني أخذتُ مرةً واحدة، أخذت من حرمكم (ثلاثة روبلات) لم آخذ غيرها!

_قال: حقاً؟.. انظري وأنا لم أسجل ذلك !! نخصم من الأربعة عشر ثلاثة، الباقي أحد عشر، ها هي نقودك يا عزيزتي!





ثلاثة.. ثلاثة.. ثلاثة.. واحد.. واحد، تفضلي. ومد إلي بأحد عشر روبلاً. المؤلم في الأمر أنني طيلة خدمتي في منزله لم أعتد عليه في هذه القسوة، إلا أنني غالبت على نفسي الصمت، وشكرته دون إضافة.

إلى أن انتهى المشهد الذي أراده، لقد كانت تمثيلية منه، بحجم ما آلمتني أولاً، بقدر ما فرحت عندما علمت أنه يلقنني درساً قاسياً ليس إلا وأن السيد أنطون تشيخوف كان كما عرفته.

_سألني: شكرًا على ماذا ؟!

_فقلت: على النقود!

_قال: يا للشيطان ولكني نهبتُك.. سلبتُك! لقد سرقتُ منك! فعلامَ تقولين شكرًا؟

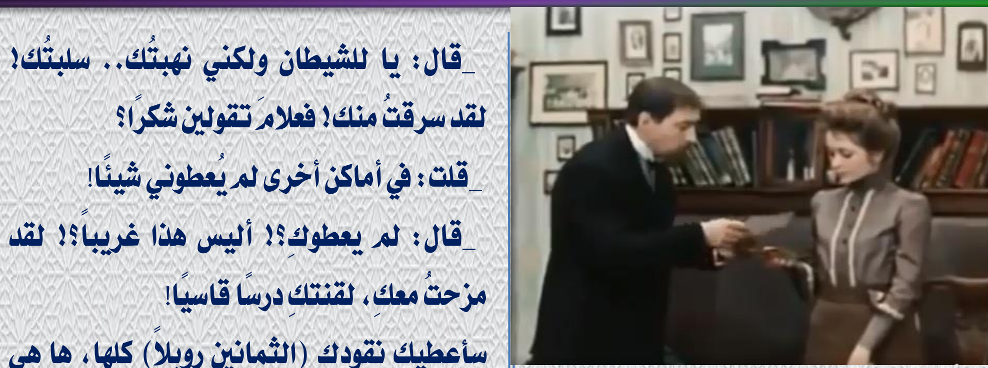
_قلت: في أماكن أخرى لم يُعطوني شيئًا!

_قال: لم يعطوكِ؟! أليس هذا غريباً؟! لقد مزحتُ معك، لقنتك درسًا قاسيًا!

سأعطيك نقودك (الثمانين روبلاً) كلها، ها هي في المظروف جهزتها لكِ!! ولكن.. هل يمكن أن تكوني عاجزةً إلى هذه الدرجة؟ لماذا لا تحتجِّين؟ لماذا تسكُتين؟ هل يمكن في هذه الدنيا ألاّ تكوني حادة الأنياب؟

هل يمكن أن تكوني مُغفلة إلى هذه الدرجة؟

لقد آلمتني كلمته، أردت أن أقول له: إني طيبة ولكنني لست مغفلة، وددت لو أشرح له طباعي





التي لقنتها على مدار سنوات حياتي، تمنيت لو بإمكاني أن أقص عليه حكاياتي منذ الطفولة إلا أنني اختصرت على نفسي الألم واعترفت له بإيماءة فقط: أن كل شيء في الحياة ممكن

اعتذر مني بشكل ودود وطلب الصفح مني، كنت لم أزل متفاجئة من الموقف.

أومأت له برأسي لأشكره ثم خرجت من المكتب مخنوقة الصدر، حزينة على فراق المنزل، ومغتمة متألمة، لقد وضع يده على موضع ضعفي، وفجّر الجروح داخلي لأحسّ بقسوة الندوب، و لكن شخص مثلي ضعيف كيف يمكنه إيجاد قوته والحياة هكذا؟! ..